

البداية والنهاية

مطرقى الرأس كأنما على رؤسهما الطير حتى اذا كان قريبا من نصف الليل سأله رجل مسألة فشرع الحارث يتكلم عليها وعلى ما يتعلق بها من الزهد والورع والوعظ فجعل هذا يبكي وهذا يئن وهذا يزعم قال فصعدت الى الامام احمد الى الغرفة فاذا هو يبكي حتى كاد يغشى عليه ثم لم يزالوا كذلك حتى الصباح فلما أرادوا الانصراف قلت كيف رأيتم هؤلاء يا ابا عبد الله فقال ما رأيتم احدا يتكلم في الزهد مثل هذا الرجل وما رأيتم مثل هؤلاء ومع هذا فلا أرى لك أن تجتمع بهم قال البهقي يحتمل أنه كره له صحبتهم لأن الحارث بن أسد وان كان زاهدا فإنه كان عنده شيء من الكلام وكان أحمد يكره ذلك أو كره له صحبتهم من أجل أنه لا يطيق سلوك طريقته وما هم عليه من الزهد والورع قلت بل انما كره ذلك لأن في كلامهم من التقشف وشدة السلوك التي يرد بها الشرع والتدقيق والمحاسبة الدقيقة البليغة ما لم يأت بها أمر ولهذا لما وقف أبو زرعة الرازي على كتاب الحارث المسمى بالرعاية قال هذا بدعة ثم قال للرجل الذي جاء بالكتاب عليك بما كان عليه مالك والثوري والأوزاعي والليث ودع عنك هذا فإنه بدعة وقال إبراهيم الحربي سمعت أحمد بن حنبل يقول إن أحببت أن يدوم الله لك على ما تحب قدم له على ما يحب وقال الصبر على الفقر مرتبة لا ينالها الا الأكابر وقال الفقر أشرف من الغنى فان الصبر عليه مرارة وانزعاجه أعظم حالا من الشكر وقال لا أعدل بفصل الفقر شيئا وكان يقول على العبد أن يقبل الرزق بعد اليأس ولا يقبله إذا تقدمه طمع أو استشراف وكان يحب التقليل من الدنيا لأجل خفة الحساب وقال إبراهيم قال رجل لأحمد هذا العلم تعلمته فقال له أحمد هذا شرط شديد ولكن حبب إلى شيء فجمعته وفي رواية أنه قال أما إذا فعزيز ولكن حبب إلى شيء فجمعته .

وروى البهقي أن رجلا جاء إلى الامام أحمد فقال إن أمني زمنه مقعده منذ عشرين سنة وقد بعثتني اليك لتدعو لها فكأنه غضب من ذلك وقال نحن أحوج أن تدعو هي لنا من أن ندعو لها ثم دعا الله لها فرجع الرجل إلى أمه فدق الباب فخرجت إليه على رجليها وقالت قد وهبني الله العافية وروى أن سائلا سأله فأعطاه الامام أحمد قطعة فقام رجل إلى السائل فقال هبني هذه القطعة حتى أعطيك عوضها ما تساوي درهما فأبى فرماه إلى خمسين درهما وهو يأبى وقال إني أرجو من بركتها ما ترجوه انت من بركتها ثم قال البهقي C باب .

ذكر ما جاء في محنة ابي عبد الله احمد بن حنبل .

في أيام المأمون ثم المعتصم ثم الواثق بسبب القرآن العظيم وما أصابه من الحبس الطويل والضرب الشديد والتهديد بالقتل بسوء العذاب وأليم العقاب وقلة مبالاته بما كان

منهم في ذلك إله وصبره عليه وتمسكه بما كان عليه من الدين القويم والصراط المستقيم
وكان أحمد عالما بما ورد بمثل حاله من